مكتبة المشورة الكتابية

المسيح ومشاكلك

Jay Adams
جاي أدامز

الورقة الإدارية

لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ. وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ،
الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ،
بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ،
لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا.
(كورنثوس الأولى ١٠ : ١٣)

لحظة من فضلك

«ولكن لو كـنت مضـطرًا للعـيش مع زوجة كزوجتي...»

«اسمعـني أيها الـراعي، لاأحد سـبق له أن واجه ما أواجهه أنا الآن في العمل».

«ولكن والدي الطفـل الآخر لا يفرضـان عليه ما يفرضه عليّ والداي».

«حسنًا، لكُنت أنت أيضًا أجبته بنفس الطريقة لو كان قال لك مثل هذا الكلام!»

تلك الاعتراضات والمئات غيرها يسمعها المشيرون المسيحـيون يوميًا. خلاصـة القـول، إن جمـيع المعترضين يقولون شيئًا واحدًا:

«أرجو أن تلتمس لي العذر على عدم وفائي بمسئولية العيش كما يجب أن يعيش المسيحي المؤمن؛ ذلك لأن مشكلتي ليست كأي مشكلة. إن مشكلتي فريدة من نوعها».

ولكن هل هيّ حقًا كذلك؟ هل من الممكن أن يسمح الله بأن يخوض المؤمن امتحانًا فريدًا من نوعه؟ وحتى لو فعل الله ذلك، هل يُعد ذلك عذرًا كافيًا؟

أجاب بولس الرسول على هذا السؤال إجابة شافية وافية لا تدع مجالًا للشك فقال: «لا! لا يمكنك التملص من مسئوليتك لتفكر وتتصرف كما يجب أن يتصرف المؤمن، لا يمكنك أن تسوق المبررات وتقول إن حالتي ليست كأي حالة، إنها حالة فريدة من نوعها. استمع لكلماته في **كورنثوس الأولى ١٠ : ١٣** «**لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ** (أي ما أصابتكم تجربة أو محنة فوق طاقة الإنسان).»

ولنـــبدأ بتوضـــيح أحد الأمـــور. إن **كورنثوس الأولى ١٠ : ١٣** لا تسمح بأية استثناءات من تلك الأنواع التي نميل إلى اختلاقها لأنفسنا. إن خطيتنا ببساطة لا يمكن التماس العذر لها.

إن ما يدعو الرسول بولس للإعلان أنه لا توجد استثناءات هو أن كل البشر في كل العصور يواجهون في الأساس المشاكل الأساسية ذاتها. ولهذا يحتكم بولس إلى قصة تعامل الله مع اليهود في أيام موسى حين كتب إلى كنيسة من الأمم في كورنثوس كانت تبدو أنها تواجه – على الأقل ظاهريًا – مشاكل تتعلق بثقافة مختلفة إلى حد بعيد. بالنظر أعمق من مستوى الزمن والجغرافيا واللغة والثقافة قال بولس: «هذه الأمور جميعها أصابت» اليهود من قبلكم، ليكونوا هم مثالًا لكم أنتم الذين انتهت

إليهم أواخر الدهور». وبالتأكيد هو يقول نفس الشيء لي ولك اليوم.

هناك بلا شك خصوصيات مميزة لكل مشكلة من المشاكل، ولا يوجد موقفان متشابهان تمامًا. ولكن ما يؤكد عليه الرسول بولس هنا هو أنه وراء هذه الخصوصيات سوف تجد أن مشاكل اليهود في البرية وتجارب الكورنثوسيين في الإمبراطورية الرومانية وإحباطات البشر في العصر الحديث لا يوجد فرقًا جوهريًا فيما بينها. إن الله لم يتغيّر؛ ووصاياه لم تتبدل، والإنسان تحت وطأة ظروفه الخارجية المعقدة ما زال هو نفسه لم يتغيّر. ويظل البشر اليوم في نفس موقفهم من العلاقة مع الله ومع الآخرين كما كان الحال في زمن الكتاب المقدّس. وبناءً عليه فرسالة الكتاب المقدّس لا تزال جديدة اليوم

كما في يوم كشف اللفافة التي دوَّن عليها بولس كتابته وقُرئت لأول مرة في كورنثوس. إن الخطاة المتمردين على ناموس الله ما زالوا يجدون أن رسالة الغفران التي يحتويها الكتاب المقدّس هي الحل الوحيد للمشكلة الأساسية الأكبر في هذه الحياة.

تُخبر هذه الرسالة عن يسوع المسيح الذي صار إنسانًا لكي يعيش ويموت من أجل مختاريه. هو أيضًا عانى الجوع، وسوء الفهم، والكراهية، ووهن العزم، والألم الموجع مثلنا تمامًا. واختبر أيضًا معنى اتخاذ قرارات مؤلمة، والوِحدة الشديدة وسط جمهور سطحي متقلب. وذاق مرارة الخيانة من الصديق، والنكران ممن فتح لهم قلبه وشاركهم محبته. نعم، لقد جُرِّب في كل شيء... ولكن بلا خطية». ولو كان يحق لإنسان أن يدافع عن نفسه ملتمسًا استثناءه

ومحتكمًا إلى أن حالته تختلف عن غيرها وفريدة من نوعها، فيسوع المسيح بناءً على ما سبق هو أحق من الجميع بذلك. غير أنه لم يتهرب قط من مسئوليته أمام الله أو أمام القريب. والآن صار ابن الله الفريد بحق واحدًا منا، ليس فقط ليُخلّص خاصته من الغضب الآتي بموته البدلي (الكفّاري) على الصليب، بل أيضًا ليحيا حياة مُقدّسة موفية لجميع متطلبات الله عنهم؛ حتى يُحسب بره لهم حينما يؤمنون به مُخلّصًا لهم.

وبما أنه - بلا خطية - اختبر كل ما لا بد أن نختبره اليوم فهو يعرف أن بنعمته يستطيع أبناؤه المفديون أن يتبعوا إثر خطاه. ولهذا يقول ذاك الذي يعرف مشاكلنا حق المعرفة إذ أنه اختبرها بنفسه: «ما أصابتكم تجربة فوق طاقة الإنسان». وبما أنه هو

من يقول ذلك فيمكنك أن تعتمد عليه. ويمكنك أيضًا أن تعتمد على حقيقة أنه يعتبرك مسئولًا عن مواجهة كل مشكلة وفقًا لوصاياه.

أيها المسيحيون المؤمنون، ليست هناك حالات خاصة! إن المسيح بنفسه قد برهن على ذلك بحياته وموته، وهو ينتظر منك أن تعمل المثل. وفي أيام اخترقت فيها الأخلاقيات الفرويدية (النفسية) كل أروقة المجتمع مروجة لعدم مسئولية الإنسان، وبينما وجد الناس أن إلقاء اللوم على غيرهم عن سلوكهم الخاطىء صار أمرًا شائعًا، يدعوك يسوع أن تحيا حياة المسئولية.

لا مكان للتقصير في «تحويل الخد الآخر»، أو في «الإحسان لمن يسيء إليك». لقد صلّى المسيح لأجلك ومات من أجلك على الرغم من أنك كنت

معاديًا له. لقد اتخذ قرارًا نابعًا من وفائه بمسئوليته أن يسير طريق الجلجثة إلى نهايته.

ولما أخذ عليه مصير جميع البشر بيَّن يسوع نهائيًا وعلى نحو حاسم كيف ينتظر الله من أولاده أن يعيشوا ويموتوا. ولذلك، أيا مؤمنون، اطرحوا عنكم الأعذار، وكفاكم إلقاء اللوم على الآخرين، وبدلًا من ذلك «سيروا كما يحق للدعوة التي دعيتم إليها» بقوة روح الله.

نحن جميعًا في هذا معًا

عندما يقـول الطـبيب: «أخشـى أننا سنضطر إلى إجراء جراحة، ولكن لا داعي للقلق، سوف تكون عملية جراحية بسيطة»، فلعلك حينها تفكر في كلمات الرجل الذي قال: «إن وخز الإبرة بالنسبة لي هو عملية جراحية خطيرة».

حسـنًا، لقد أعلمـك الطبيب بحـقيقة الأمر. إن نتيجة الفحص غير سارة ولا بد من إجراء جراحة؛ فما العمل الآن؟ تحت وقع الدهشة تعود إلى البيت وتخبر زوجتك راجيًا أن تخبرك بما يبعث الرجاء في نفسك. ومن غير ريب تقول لك: «ليس الأمر بهذا السوء، فالعم فريد سبق وخضع لمثل هذه العملية الجراحية قبل ١٨ سنة، وكما تعلم فهو الآن في تمام الصحة منذ ذلك الحين».

وفي اليوم التالي وأنت في العمل تعرض مشكلتك على سامي، رئيسك في العمل. فيؤكد لك: «لقد خضعت أنا نفسي لمثل هذه العملية الجراحية من قبل، وكنت قادرًا على القيام والمشي بعد يومين من إجراء الجراحة». ويقاطع حديثكم هاني الذي يعمل بالقرب منك على خط التجميع قائلًا: «نعم، وأنا أحد جيراني عاد إلى عمله بعد أقل من أسبوعين». ومرة بعد مرة تسمع أخبارًا مماثلة كلما ذكرت هذه العملية الجراحية. وهكذا سرعان ما تتضاءل داخلك حدة الخوف والتوجس بصورة كبيرة.

ذات مرة كنت أقود سيارتي خارج المدينة لرؤية أحد الأماكن ذات الطبيعة الساحرة. وفي تلك البقعة الخلابة يمكنك أن ترى قطع الصخور الضخمة

متوازنة وكأنها قائمة على رأس دبوس، والمنظر من حولك مفعم بالألوان كتحفة فنية. وفيما أنت مستمتع بجمال الطبيعة تواجهك مشكلة فجأة: فأمامك مباشرة حائط من الصخور لا يمكن عبوره، والطريق الذي أنت مسافر عليه قد انتهى إلى ما يشبه صدع ضيق في الصخر يصعب حتى على أصغر سيارة أن تعبره. ومن ثم تهم في الاستدارة لترجع إلى الوراء حين تقع عيناك على لافتة بيضاء صغيرة كتب عليها:

ممر ضيق؟ هذا صحيح

ولكن مليون قبلك عبروه

وبعد فترة قصيرة سرعان ما يصبح عدد من عبروا هذا الممر الضيق مليون وواحد.

ما الذي يجعلنا نستلقي على طاولة العمليات الجراحية مستسلمين لمشرط الجراح؟ ما الذي يدفعنا للمخاطرة بأن نعلق في ذلك الممر الضيق؟ والإجابة هي بالتأكيد أننا نجد المساعدة في مواجهة مثل هذه المشاكل بيقيننا أن آخرين قبلنا اجتازوها بنجاح. وهذا هو السبب الثاني الذي جعل الرسول بولس يقول للكورنثوسيين: «**لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ**». وبعبارة أخرى، إن المحن التي تصيبكم عادية وليست فوق طاقة الإنسان.

في حديثنا الأول عن **كورنثوس الأولى ١٠ : ١٣** نلاحظ أن تصريح بولس يجعلنا مسئولين أن نتعامل بحق وأمانة مع مشاكل الحياة التي تواجهنا. وإذا كانت مشاكلنا في الأساس هي نفسها كالتي واجهت المسيح وواجهت مؤمنين آخرين فلا نستطيع أن نقول أنه يجب إعفاؤنا، أي التماس

العذر لنا من حلها بطريقة الله، إذ أنها، أي مشاكلنا، فريدة من نوعها.

غير أن بولس لا يدعونا بهذه الكلمات إلى المسئولية فحسب؛ ولكنه يريد أيضًا أن يشجعنا ويولد الرجاء فينا. لنفكّر:

> بما أن آخرين قد أجريت لهم نفس هذه العملية الجراحية بنجاح دون آثارًا جانبية، فمن المرجح أن يحدث هذا معي أنا أيضًا. بما أن مليون سيارة استطاعت عبور هذا الممر الضيق فسيارتي أيضًا تستطيع. بما أن المئات من المؤمنين قد احتملوا إساءة الظن بهم، وتعلّموا أن يؤدبوا أبناءهم، وعاشوا مع أزواج وحموات من نوع زوجي وحماتي، وعبروا وادي ظل الموت بأمان لأن راعيهم بجانبهم، فأنا أيضًا أستطيع.

هذه هي الروح التي يحتاجها الإنسان ليمضي قُدمًا وسط عالم مليء بالأوجاع.

صحيح أن المشاكل - على الرغم من كونها مشابهة لمشاكل الناس في عصور أخرى - إلا أنها تتميز بأنها أكثر تعقيدًا في عصرنا، وبأنها في ازدياد بمعدلات غير مسبوقة. ولكن أيها المؤمن أنت لست في هذا وحدك. كلنا في هذا معًا. ويقول الله لك أنك تستطيع حل هذه المشاكل القديمة حتى وإن كانت تظهر بهيئات مختلفة. لقد استطاع آخرون في الماضي، وبمعونة الله هناك كثيرون آخرون ممن يعيشون في هذا العصر المعقد سريع الحركة يستطيعون حلها اليوم.

تذكّر أيضًا أن يسوع المسيح واجه مشكلات معقدة لَتستعصي حتى على أقوى الحاسبات الإلكترونية،

واستطاع حلها كلها بلا خطية. لن يكون عليك بالضرورة أن تواجه نفس المشاكل التي واجهها يسوع بتعقيداتها وخطورتها وشدتها؛ غير أنه لديك نفس المصادر والوسائل التي عنده. استعان يسوع بالكتب المُقدّسة ثلاث مرات وبذلك استطاع أن يحبط محاولات الشيطان لإبعاده عن المخطط الإلهي الذي يريد أن يأخذه إلى الصليب، حيث سيراق دمه بدلًا عن شعبه. وعلى الصليب عليه أن يتألم ويموت. على الصليب يجب أن يتحمل عار الأرض وغضب السماء. وعلى الصليب سيعامل القدوس ابن الله الذي بلا عيب معاملة المضلِّلين والمجدفين والزناة والقتلة. وعلى الصليب كان عليه أن يموت من أجلي ومن أجلك. يا له من حب ذلك الذي أظهره من خلال رفضه القاطع لأن يسلك ما بدا أنه الطريق «الأسهل» الذي يربح به ممالك العالم!

ونرى في ثبات يسوع دون طعام أو شراب لأربعين يوم وأربعين ليلة قوة كلمة الله. لم يتصرف يسوع وفقًا لمشاعره (حتى للإحساس الشديد باقتراب الموت جوعًا)، ولكن وفقًا لكلمة الله. حقًا عندما قال يسوع: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ولكن بكل كلمة تخرج من فم الله» إنما كان يعطينا المفتاح لحل مشاكل الحياة. إن حل هذه المشاكل يكمُن في اتّباع كلمة الله، الكتاب المقدّس التي اقتبس منها، كلمة الله التي ساندته وأرشدته منتصرًا خلال أصعب التجارب. يستطيع نفس الكتاب أن يصنع معك كما صنع مع يسوع. أيها المسيحي المؤمن، مهما بدت مشاكلك الحالية صعبة، ومهما بدوت في الموقف عاجزًا، تشدد وتشجع! أنت لست وحدك. إن لك رئيس كهنة عطوف مرهف الحس قادر أن يتدخل في جميع مشاكلك إذ أنه قد اختبرها

قبلك (**العبرانيين ٤ : ١٥**). إنه يعلم وجع قلبك، ويعرف أحزانك، ويحس بآلامك... هو يعرف!

وفي الواقع يقول على فم الرسول بولس:

آخــرون - مؤمــنون آخــرون يواجــهون الآن المشاكـل ذاتها بنجـاح بفضـل نعمـتي لقد اجـتزت ما يجتــازونه الآن من قبـلهم، وأنت أيضًا تستطيع.

عندما تُحنَى ظهور من لا يعرفون المسيح تحت أثقال الحياة، يمكنك أنت أن تظل صامدًا مرفوع الرأس! لأن الله هو الذي قصد لك أن تواجه نفس المشاكل التي يعانون منها لكي ما يُظهر فيك عجائب قوته ونعمته. عندما لا تقوى الأشجار في العراء على احتمال ضراوة العاصفة واشتداد بطشها، وعندما تبدأ قلوب الرجال تخور خوفًا ينبغي أن يكون

قلبك أنت ثابتًا، لا يخشى شيئًا متكلًا على الرب. يجب أن تكون برهانًا على أن الله، رب الكلمة، يحفظ كلمته.

كُف عن الشكوى، والأنين، والقلق. امسك بكتابك المقدّس من جديد؛ تغذّى من رسالته، استرد بها قواك، وحل تلك المشكلات بطريقة الله، لمجد ابنه يسوع المسيح.

يمكنكم أن تساعدوا بعضكم بعضًا

إلى أين تلجـــأ طلبًا للمســـــاعدة؟ حســـنًا، أين يمكن أن تجدها؟ كان نبيل في ورطة. وعلى الرغم من أنه مؤمن، إلا أنه وقت الحاجة قام باختلاس مبالغ نقدية؛ والآن نتيجة لذلك أصابه اكتئاب شديد لإحساسه بالذنب على هذه الخطية وخوفه من افتضاح أمره واكتشاف الخلل في أدائه الوظيفي. نصحته زوجته بإلحاح بزيارة الطبيب النفساني. وبدافع اليأس ذهب نبيل لزيارة راعي كنيسته. بدأ نبيل يشكو حالة اليأس التي أصابته وطلب مساعدة الراعي. وفي حين كان يُمني نفسه بالحديث مع الراعـــي عن المشكـلة كان خائفًا في الوقـــت

نفسه من العواقب المترتبة على اعترافه بالحقيقة؛ لقد كان يرجو أن الراعي سوف يتمكن بطريقة ما من استنباط القصة منه. غير أن الراعي خيب أمله فلقد كان خبيرًا بمعرفة الأشخاص المكتئبين، وكما تعلَّم جيدًا فكلما اكتشف حالة اكتئاب كهذه يجب على الفور أن يحيلها إلى متخصص. وهكذا اقترح على نبيل أن يذهب لطلب المزيد من المساعدة من أحد المتخصصين من الأطباء النفسيين. وانتهى المطاف بنبيل داخل إحدى المصحات النفسية ليخضع للعلاج بالأدوية وبالصدمات الكهربائية، فعُزل عن أسرته وصار موضع شك أصدقائه. وبينما لعب الجميع دور المتعاطف معه خلال زيارتهم المتكررة له في منزله، كان هو يعرف مشاعرهم الحقيقية. حدث كل هذا وأكثر لأن نبيل لم يعترف من البداية بخطيته ويسدد دينه كما يطلب الله!

غير أن القصة المحزنة لم تنته عند هذا الحد؛ لقد فشل نبيل ولكن ليس وحده، لقد فشلت زوجته أيضًا وراعي كنيسته. لم يكن نبيل بحاجة إلى علاج بالصدمات الكهربائية، ولا لإيداعه مصحة نفسية. لقد كان نبيل بحاجة إلى السعي في طريق الله للغفران والاسترداد. لكن عائلته وكنيسته لم يواجهاه بحقيقة أن حالة الاكتئاب التي أصابته يمكن أن يكون مصدرها هو الخطية. لم يفكروا حتى في هذا الاحتمال. لقد تم تلقين كل من راعي الكنيسة والعائلة الأخلاقيات الفرويدية (النفسية) المعاصرة بكل معنى الكلمة لدرجة أنهم لم يفطنوا إطلاقًا للسبب الحقيقي وراء حالة الاكتئاب التي أصابت نبيل. والنتيجة أنهم لم يتمكنوا من مساعدته.

اكتشف كل المشيرين الذين عملوا في المصحات النفسية – كما اكتشفت أنا منذ سنوات عديدة –

أن هذه المؤسسات (المصحات) مزدحمة بأناس مثل نبيل. هؤلاء الناس (وبينهم مؤمنون) لكانت حياتهم المسيحية اليوم مثمرة ومنتجة لو كان إخوتهم المؤمنون واجهوهم باحتمال وجود خطية كسبب أساسي لضيقتهم. ليس كل سلوك غريب بالطبع ناتج عن عمل خاطىء معين؛ فهناك أشخاص يعانون من مشاكل تتعلق بالسموم، أو أضرار أو أورام بالمخ، إلخ. يسلكون سلوكًا سيئًا نتيجة لمرض عضوي أو خلل كيميائي. ولكن بالمقارنة، فعدد الذين يعانون من مشاكل عضوية في الأصل (مقابل أولئك الذين يجدون حياتهم «صعبة» لأنهم لا يحلون مشاكلهم بطريقة كتابية) هو عدد متواضع جدًا. إن عدد كبير ممن يفترض أنهم مصابون بأمراض نفسية أو عقلية هم ليسوا مرضى في الأساس. صحيح أنهم قد تضايقهم قرحات في المعدة أو يصابون بالشلل

خوفًا من اكتشاف الأسباب الحقيقية، لكن هذه الأمراض ليست في الحقيقة سوى أعراض أو عواقب لمشكلتهم، وليست أسبابًا لها. إن الحل الحقيقي لمشكلتهم لا يكمن في زيارة الطبيب النفساني أو العلاج بالصدمات؛

لا يوجد العلاج إلا في يسوع المسيح وحده.

غير أن كنيسة يسوع المسيح قد عجزت عن أن تدرك هذه الحقيقة، وتواطأت في الواقع في جريمة الخدعة الفرويدية (الشيطانية الدنيوية البشرية النفسانية)، الخدعة التي أعلنت الشاذين جنسيًا والسكيرين والزناة والكذابين، والجبناء والمغتابين، والمتبجحين والطامعين في مُلك غيرهم، «غير مسئولين» عن أفعالهم لأنهم «مصابون بمرض نفسي أوعقلي». وهكذا فقدت الكنيسة فعليًا

صورتها بصفتها الكنيسة المُحبة التي تقدّم الغفران والمساعدة والشفاء، وبصفتها جماعة المؤمنين المجتمعين «لبناء بعضهم البعض». هناك الكثير مما يمكن أن يقال عن الكنيسة باعتبارها المؤسسة التي يمكن أن تجد فيها الفتور والجفاف والاغتياب والاغتراب (الوَحْشة)؛ ولكن ماذا حدث لصورتها في القرن الأول؟

ما الذي حدث لها؟ لماذا اختفت تلك الصورة؟ اختفت لأن عمل الكنيسة المبني على الحب والاهتمام المشترك قد اختفى هو الآخر؛ اختفى مع دخول «المساعدة المهنية المؤهلة»؛ اختفى مع الاستغناء عن ممارسة التأديب الكنسي المُحب. أين يمكنك اليوم أن تجد الكنيسة التي حقًا يلاحظ أعضاؤها «**بعضُهم بعضًا للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة**»؟ (**العبرانيين ١٠ : ٢٤**).

أين هم الإخــوة الذين يردون روحــيًا إخوتهم الساقطين في الذنوب والخطايا؟ كم مرة يقدم المؤمنون يد المساعدة في حمل أثقال الآخرين (**غلاطية ٦ : ١، ٢**)؟ كم تعرف من المؤمنين الذين يعطون الأفضلية لإخوتهم المؤمنين ويبحثون عن مصلحة الآخرين (**فيلبي ٢ : ٣، ٤**)؟ هل تجد في الكنيسة عتابًا ومواجهة للإخوة المؤمنين حين يتسببون في الإساءة لإخوتهم (**متى ٥ : ٢٣، ٢٤؛ ١٨: ١٥ - ٢٠**)؟ لا عجب في أن هناك الكثير من المرارة والافتراء والاستياء حين يتخاذل المؤمنون عن استخدام وسائل الله للمصالحة! ماذا حدث؟ أقول لك ماذا حدث: لقد اختارت الكنيسة الطريق السهل الذي لا ينطوي على الكثير من المقاومة بل على أقل قدر من التضحية. لقد سقطت كنيسة يسوع المسيح فريسة سهلة للدعاية المروجة للأكاذيب. تزعم هذه

الدعاية الفرويدية (النفسية) أن الناس الذين يعانون من صعوبات في حل مشاكل الحياة هم – كما قال قس ملحق بإحدى المستشفيات – أشخاص «محايدون أخلاقيًا» وبالتالي هم غير مسئولين. وباختصار، هم مرضى ولا يوجد ما يمكننا عمله لمساعدتهم؛ إنهم يحتاجون إلى «مساعدة مهنية متخصصة». إن الخدام والمؤمنين على حد سواء قد خلصوا إلى فكرة أنهم غير مؤهلين لتقديم المشورة لمثل هؤلاء الناس.

ولكن هل هم حقًا غير مؤهلين؟ هل فقدت الكنيسة قدرتها على فعل الخير؟ هل لم يعد هناك رجاء لاستعادة شركة رعية المسيح حيث يعين المؤمنون بعضهم بعضًا في العمل الذي يسفر عن بناء الجميع؟ هل يستطيع كل عضو في الجسد

أن يعمل بالطريقة التي تؤدي إلى بناء كل الجسد في المحبة (أفسس ٤ : ١٦)؟

بالطبع هذا ممكن؛ ويمكن أن يحدث بمجرد أن يبدأ المؤمنون في فهم المعنى المتضمن الثالث **لكورنثوس الأولى ١٠ : ١٣**، الآية موضوع دراستنا: «**لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ**» ويتضمن معناها أننا لا يمكن أن نُسقط مسئوليتنا ونقول إن مشاكلنا «فريدة من نوعها». يقول الله إنما هي عادية بالنسبة للبشر. لاحظنا أيضًا الرجاء المتأصل في صلب هذا المفهوم: بما أن آخرين قد استطاعوا مواجهة هذه المشاكل بنجاح باتباعهم لإرشاد الله واستعانتهم بمصادره الإلهية، فنحن أيضًا نستطيع. ولكن لاحظ الآن معنى آخر من المعاني المتضمنة: إذا كانت المشاكل التي تواجه الناس هي في الأساس ذات المشاكل

بصرف النظر عن اختلاف تفاصيلها، فإن المؤمنين الذين عرفوا كيف يحلون مشاكلهم وفقًا للمبادىء التي أعلنها الله في الكتاب المقدّس هم مؤهلين لمساعدة مؤمن آخر على حل مشاكله. إن كنت تنمو بنعـــمة الله فأنت - بقدر ما بلغـــت من نمو في المعـــرفة وفي الحيـــاة - قادر على مســـاعدة شخص آخر على النمو. أنت في ذلك الحين مؤهل! وفي الواقع من المرجح أن تكون أكثر كفاءة من كثيرين ممن يدَّعون لأنفسهم الخبرة ولا حق لهم فيها.

إن الأطباء النفسانيين بصرف النظر عن وصف الأدوية المهدئة (التي بإمكان أي طبيب بشري أن يصفها) نادرًا ما يستعينون بخلفيتهم الطبية. وبدلًا من ذلك تراهم يقضون الوقت يتحدثون

مع المرضى عن القيم آملين في تغيير شخصيتهم وسلوكهم. هل نحن بحاجة إلى محللين نفسانيين من أنصار فرويد ليقولوا لإخوتنا المؤمنين أن مقاييسهم للقيم والأخلاقيات صارمة ومتشددة للغاية، وبالتالي يلزم تخفيفها قليلًا! هل نظن بحق أن الإنسان الذي يحيا لوحده بمعزل عن نعمة يسوع المسيح المُخلّصة يمكنه أن يقود آخرين من الرعية إلى المزيد من الطاعة المُحبة والمُخلصة للرب؟ هل صرنا نعتقد حقًا أن ثمر الروح سوف ينمو في جو يتجاهل الروح القدس ويعترض على مبادىء كلمة الله ويُضعف من مكانتها؟

يقول لوقا: «جاء يسوع المسيح يعمل ويُعلِّم (**أعمال الرسل ١ : ١**) – لا ليُعلّم فقط، ولكن ليعمل أيضًا. ترك يسوع وصية لكنيسته بأن الأعمال التي

عملها ينبغي أن يعملها أتباعه أيضًا؛ بل ويعملون في الواقع أعظم منها (**يوحنا ١٤ : ١٢**).

أين أعمال الكنيسة اليوم؟ أين قوة وسلطان المسيح؟ عندما نعود إلى الأعمال الحسنة التي تهدف إلى بناء كل مؤمن لإيمان الآخر، سوف نعرف الإجابة! أيها المؤمن، أناشدك باسم ربنا يسوع المسيح أن تذهب اليوم وتساعد مؤمنًا آخر.

يمكنك الاعتماد عليه

وكيف تعــرف أنت؟ ما الذي يجعــلك متــأكدًا هكذا؟ لقد شدَّدتَ في الفصول الثلاثة السابقة على الحاجة إلى القيام بأعمال تنم عن المسئولية، أعمال تحل المشاكل. لقد كنت تتحدث عن الرجاء. وكنت تقــول أن المؤمــنين يمكنــهم أن يحتــملوا ويحلوا المشاكل، حتى أن عليهم أن يكونوا قادرين على مساعدة بعضهم بعضًا على الاحتمال. ألست تبالغ قليلًا فيما تقول؟ هل الرجاء الذي تقدّمه قادر حقًا على التحرير؟ أم أنه مجرد رجاء زائف كغيره، لن يجلب في نهاية الأمر سوى المزيد من اليأس والضيق لمن يتكلــون عليه؟ هل أنت واثــق بأنك لا تبيع أشياء غير كتابية، هل تبيع ما لست تمتلكه؟

حسنًا، إذا كنت فكرت بهذه الطريقة فدعني أهنئك. فالناس في أحيان كثيرة تسرع إلى «شراء» ما يفترض أنه دواء كل داء، الدواء الذي ينتج شعورًا بالنشاط والخفة، غير أنه في آخر الأمر يخيب الآمال ويترك الناس معدومي الطاقة. إذا كنت تريد تبنّي وجهة النظر التي أعرضها على أي أساس آخر غير أنك بنفسك قد فتشت الكتب ووجدت أنها صحيحة، فسوف أشعر بخيبة أمل شديدة. إن رجاءك الحقيقي في الشدة، الرجاء الأكيد وسط اليأس هو في الله؛ الله، الذي على خلاف كل المخاصمين، وعد بالفداء لكل الضالين، وحقق وعده وحررهم! إن فيه يكمن كل رجاء. وهذا الرجاء لا يتحقق سوى من خلال ابنه يسوع المسيح. وقد حرر المسيح بتنفيذ وعد الله بالخلاص بموته

على الصليب من أجل خطايا أولئك الذين أعطاهم الآب له لكي ما ينالوا حياة وغفرانًا لخطاياهم.

عندما تتيقن من أنك تعتمد في يسوع المسيح على من هو جدير بالاعتماد عليه، على الشخص الذي يتحدث بوضوح في الكتاب المقدّس، الشخص الذي كلامه نعم نعم ولا لا. إن كلامه ليس كلامًا غامضًا ولا ملتبسًا. وهو لا يتهــرب أو يقــول نعم ولا في الوقت نفسه. ولا توجد في وعوده نزعة وجودية كامنة. وعندما يعطي وعدًا فهو يفعل ذلك بوضوح دون مواربة، ومن ثم يفي به.

ولهذا السبب بالتحديد حين أقول أنه يوجد رجاء فأنا أعني وجود حلول؛ أعني أن المساعدة المشتركة ممكنة. أنا لا أبيع ما ليس عندي. كل ما قلت علاوة على الفصول القادمة (كما سنرى) هو حقيــقي

في المسيح، الذي لم يحرر فقط بناء على وعده بأن يأتي ويموت، ولكنه حرر أيضًا بناء على وعده بالقيامة من الأموات! الرجاء مؤكد لأنه هو الذي وعد به خاصته:

لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ. وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ (صادق)، **الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ** (لا يُكلّفكم غير ما تقدرون عليه)، **بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ** (وسيلة النجاة منها)، **لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا. (كورنثوس الأولى ١٠ : ١٣).**

ألا ترى أن الإجابة على جميع أسئلتك تكمن في هذه الكلمات الثلاث الثابتة المتأصلة في قلب هذا الوعد الكريم: «وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ»؟ هذه كلمات يقينية. وعلى هذا الأساس المتين يستند الرجاء الذي أتحدث عنه. هذا وعد الله؛ يمكنك الاعتماد عليه.

ما من شك في أن الرسول، الذي كثيرًا ما توقع الاعتراضات والأسئلة، كان يتوقع أيضًا - بعد ما كتب هذا الوعد الساحق - أن يتهموه بأنه يبيع ما ليس عنده. ولذلك، بوحي الروح القدس، أوضح بما لا يدع مجالًا للشك أن هذا الوعد يرتبط ارتباطًا مباشرًا بأمانة الله. وهذا بالطبع هو الأساس الأثبت من كل أساس. فلو كانت أمانة الله يمكن أن تخيب فكذلك أيضًا هذا الوعد. ولو كانت أمانة الله يمكن أن تخيب يمكنك أن تشك في هذه الكلمات. ولو كانت أمانة الله يمكن أن تخيب يمكنك أن تجد ثغرات ونقاط ضعف؛ ويكون في ذلك الحين لك الحق في الاعتراض على وعوده. ولكن إذا كان «**اللهَ أَمِينٌ**»، وأنت تعلم أنه كذلك، إذن فليس أمامك خيار إلا أن تؤمن وتتصرف وفقًا لهذا الوعد الوارد في **كورنثوس الأولى ١٠ : ١٣**.

نجد في المشورة الرعوية أن كثيرًا من الناس يأتون لطلب المساعدة دون أي رجاء يذكر. لقد جرّبوا كل الوسائل التي يعرفونها. وكثيرًا ما طلبوا النصيحة من مصادر أخرى، غير أن الأمور كانت تسير من سيء إلى أسوأ. وبالتالي يمكنك أن تتفهم لماذا جاءوا بلا رجاء يذكر. وفي الواقع من الممكن وصف موقفهم بأنه موقف من يعلق آمالًا وهو غير متوقع لحدوث شيء. إن العديد ممن اعتادوا لسنوات التردد على عيادات الأطباء النفسانيين والمشيرين الآخرين من دون جدوى يأتون ولا رجاء لهم في شيء. لقد كانوا فيما سبق يمنون أنفسهم بآمال عريضة؛ لكن غالبًا ما كانت النتائج مخيبة لتوقعاتهم؛ وبالتالي تكسَّر كل رجاء عندهم. والآن صاروا يتوجسون الوعود خشية أن تسبب لهم الألم من جديد؛ فيكادوا يرفضون مجرد فكرة البدء

بالتلميح بوجود رجاء. إن مثل هؤلاء إنما يحتاجون إلى سماع كلمات بولس: «الله أمين». إن نظرية التحرر من الأوهام قد نشأت من الرجاء في الإنسان ووعود الإنسان. ولكن حينما يكون الرجاء كما ينبغي متكلًا على الله راسخًا في وعوده ومتأسسًا على كلمته فهذا الرجاء لا يخيب.

لعلك واهن العزم؛ ولعلك فقدت كل رجاء لك؛ ولعلك أنت أيضًا متردد، ولا تريد أن ترجو من جديد. إذا كان هذا هو الحال استمع لكلمة الله لخاصته: «الله أمين». يوجد لك رجاء! إن المشكلة التي تواجهها – التي تبدو كالقلعة الحصينة – مشكلتك التي تبدو مستحيلة لها حل في المسيح. قد يقول الطبيب النفساني لزبونه المتوقع: «أنت تعلم أن التحليل قد يستغرق الكثير من الوقت ولا شيء يُمكن أن أضمنه لك». ولكن هذه ليست الطريقة التي يتكلّم الله بها!

ففي الحقيقة يقول الله: «اعتمادًا على أمانتي، أي اعتمادًا على استقامة كلمتي وشخصي أُعلن أنه لا مشكلة سبق وواجهها أبنائي المفديون تُعتبر فريدة من نوعها أو أبعد من قدرتهم على التصدي لها إذا تعاملوا معها بطريقتي أنا بالاستعانة بمصادري». إن الله يعطي ضمانًا. وهذا الضمان لا يحتوي على عبارات مكتوبة بخط صغير خادع تصعب رؤيته تجعل منه ضمانًا لا قيمة له!

أنت لست بحاجة لقضاء ساعات طويلة في عذاب التحليل النفسي لكشف النقاب عن الإساءات التي وجهها ضدك الآخرون حتى يمكنك إلقاء اللوم عليهم والتماس العذر لسلوكك غير الأمين. لا! اليوم يمكنك أن تكون مختلفًا. إن بداية الحل لمشكلتك يُمكن أن تحدث الآن حين تدرك مسئوليتك الشخصية لمواجهة كل ما يسمح به الله

لك. اعترف بخطية شعورك باليأس في ضوء عناية الله ورأفته بك إذ أنّه أكد على عنايته بك في وعده. لن تتلاشى جميع مشاكلك في الحال، ولكن على الأقل اليوم من الممكن أن يتغيّر موقفك تجاهها بطريقة جذرية. يمكنك أن تنظر إليها بعين الرجاء. لا يسمح لك الله بأن تفقد رجاءك طالما أنك ابن له. إن المفهوم نفسه أن يقع ابن لله الأمين فريسة لليأس التام هو أمر شاذ. إن الرجاء في الله لا يمكن أن يخيب؛ إنه الرجاء المحرر! والآن فلتطرح عنك كل إحساس بالإشفاق على النفس، وتخلّص من كل بقايا الحيرة والتردد؛ اخلع عنك الأعذار والعقلنة (التبريرات العقلانية)، وارتمِ بالكلية في حضن هذا الوعد الإلهي وإله هذا الوعد. وحينها سوف تختبر فرح ترديد صدى كلمات الإيمان والثقة المدوية: «كثيرة هيّ أمانتك».

لا يمكنك أن تقول لا يمكنني

«لا يمكنني أن أفعل ذلك!» تلك كانت كلمات امـــرأة مؤمنة علـمت لتوها مشيئة المســـــيح من الكتاب المقدّس، وقالت معارضة أنه من المستحيل أن تطيعها. وزعمت أنها ببساطة لا تملك الشجاعة والقوة الكافية. هل كانت على حق؟ هل سبق ووضع الله المؤمنين في موقف يطالبهم فيه بسلوك معين وهو عارف بأنهم لا يستطيعون؟

كان سامي متزوجًا من امرأة لم تكن تعبأ بأي أحد إلا بنفسها. لقد ضحت بزواجها وبأطفالها وبأصدقائها في سبيل إشباع رغباتها الأنانية. رسم سامي أمامي صورة سوداء قاتمة؛ ليس فيها ولو بصيص من الأمل. وعندما انتهـــى من رواية

آخر التفاصيل المحزنة استلقى سامي على كرسيه مثقلًا بيأسه وقال متنهدًا في حسرة: «إذن أنت ترى لماذا لاأستطيع تحمل المزيد.» أحقًا لا يستطيع؟

هذا هو السؤال، أليس كذلك؟ هل يستطيع أن يتحمل؟ هل تستطيع تلك المرأة أن تعمل مشيئة المسيح؟ هل يمكن أن تقبل تلك المسئولية وتنجز تلك المهمة التي تقول عنها أنت أيضًا «لاأستطيع»؟

هناك شيء مشترك بين معظم المؤمنين الذين يحتاجون إلى المشورة. كل مشير رعوي سريع الملاحظة استطاع أن يلاحظ هذه الصفة التي تكاد تكون عالمية: لقد احتوى حديثهم جميعًا على كلمة مشتركة «لا أستطيع». هذه الصفة المشتركة يمكن توضيحها بعدة طرق. قد يفترض البعض أنها دلالة على نقطة ضعف أساسية أو عجز يؤكد

مشاكلهم الأخرى. ويقود هذا التفسير إلى استنتاج أن هؤلاء الأشخاص - سواء فطريًا أو لسبب آخر- لا يستطيعون تلبية مطالب الله. وهذا التفسير بالطبع يقبل نظرة متلقي المشورة ويوافقه على أنه قليل الحيلة ومغلوب على أمره. إن هذا ليجعل المشير أيضًا مغلوبًا على أمره، وسوف ترى.

غير أن هناك تفسير آخر لهذه الظاهرة: يقول التفسير الكتابي أن البشر «يتملصون» من مسئولياتهم ويقصرون في إنجاز المهام التي كلفوا بها بسبب الخطية.

لا يعطي بولس الفرصة لأي مؤمن لكي يتهرب باستخدام كلمة «لاأستطيع»، فيقول:

لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ. وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ

مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ، لِتَسْتَطِيعُوا (تقدروا) **أَنْ تَحْتَمِلُوا. (كورنثوس الأولى ١٠ : ١٣).**

إذا كان حقًا لا يمكن أن يرسل الله تجارب أثقل من أن يحتملها المؤمن فلا يصبح للمؤمن أي حق في الاعتراض قائلًا: «لا أستطيع». فإن كان الله هو الذي سمح بالتجربة فالمؤمن يستطيع أن يحتملها! وإذا كانت التجربة من متطلبات الله فالمؤمن يستطيع أن يجتازها بنجاح! وحتى لو كانت التجارب التي نمر بها فريدة من نوعها من حيث تصميماتها الأساسية فتفصيلاتها وشدتها والوقت الذي تأتي فيه في الحياة كلها خاطها مصمم واحد لتناسب احتياجات كل فرد من أولاد الله. ولا تنسى أن الله هو المصمم الذي خاطها! لا تجربة أو محنة تستمر أكثر مما نستطيع أن نحتمل. فكلها تناسبنا تمامًا.

إن الله لا يمكن أن يسمح للشيطان بأن يُجرّب أي مؤمن بأكثر من قدرة المؤمن على الصمود في وجه هذه التجربة، بشرط أن يواجهها بطريقة الله، وبوسائله. يقف سفر أيوب شاهدًا قويًا على هذا الوعد.

ولكنك تقول معارضًا: «أنا لا أعتقد أنني سأستطيع أن أقف راسخًا مدافعًا عن إيماني في مواجهة تنفيذ حكم الإعدام عليَّ كما سبق وفعل مسيحيون آخرون». قد تكون على حق.

غير أنك لست مضطرًا لمواجهة تنفيذ حكم الإعدام الآن. إن الوعد لا ينطوي على أنه سيكون

عندك قوة لتواجه اليوم مشاكل الغد، ولكن عندما يحين الوقت سوف يمنحك الله الحكمة اللازمة وجسارة الإيمان للتعامل معها. عادة ما تأتي القوة مع العمل.

ولعل هذه المشكلة التي بدت بالأمس لا تطاق يمكن الآن احتمالها بعد أن قرأت هذه الرسالة اليوم. قد يكون الوعد في **كورنثوس الأولى ١٠ : ١٣** ذاته دفعة تشجيع وتوجيه يعرف روح الله أنك بحاجة إليها لكي تتخذ هذا القرار المُلحّ الذي كنت تظن أنه لا يمكنك اتخاذه أبدًا.

اعتمادًا على نعمة الله واعتمادًا على معرفة كلمته، ووفقًا لحالة التقديس التي أنت فيها حاليًا، ولإمكانيات الروح القدس التي بداخلك، ليست هناك تجربة يسمح لك الله بها وهي أبعد من قدرتك على احتمالها. فبدلًا من أن تقول: «لا أستطيع» يجب أن تقول: «**أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي.**»

إن هذا المبدأ جدير بأن تفهمه. وهنا قد يفيد القليل من المعرفة عن جذور المشكلة. لقد أحدثت الخطية

انقلابًا في تسلط الإنسان على الأرض، وبالتالي أصبح بإمكان الأرض أن تتسلط هيّ على الإنسان. لقد صارت الأرض تقاوم الإنسان، تنتج له شوكًا وحسكًا. ولم يعد دور الإنسان في أن يهذب أشجار الجنة ويرعاها، بل الآن بات من الضروري أن يشقى بعرق جبينه ليعمل الأرض ويُبقي على وجوده. وكلما تقاعس عن أداء هذه المهمة يصبح تأثير هذا الانقلاب ظاهرًا أكثر وأكثر. وخلافًا لأمر الله بإخضاع الأرض، ترك الخطاة دورهم وسمحوا للبيئة المحيطة أن تسيطر عليهم. إن المؤمن الذي ينتحب قائلًا: «لا أستطيع؛ أنا مغلوب على أمري،» إنما هو خاضع لتسلط الخطية في عالم قائم ضده. لا يجب أن يتصرف المؤمن بهذه الطريقة؛ عليه أن يُخضع العالم ويتسلط عليه لكي يعكس صورة الله. إن صورة رجل شلته البيئة المحيطة به وأعاقته عن الحراك فصار خاضعًا لها لهي

صورة عن الله مشوهة وتدعو إلى الرثاء. إن الكتاب المقدّس قادر على تجهيز كل مؤمن تجهيزًا كاملًا لكل طارىء في الحياة. أعد الله بعنايته الإلهية في كلمته المبادىء الضرورية لحياة التقوى؛ ويعتبر التقصير في استخدام هذه المبادىء إساءة تمثيل لله أمام غير المؤمنين. ولا يمكن أن نصف هذا التقصير بأقل من كونه افتراءً وتشويهًا لسمعة ذاك الذي مات من أجل خطايانا على الصليب، والذي إذ فعل هذا من أجلنا فسيمنحنا أيضًا مجانًا كل ما هو للحياة والتقوى. حقًا، إن أولئك الذين لا يعرفون المسيح يقع النفور والاشمئزاز في أنفسهم يوميًا بسبب المؤمنين الذين يعيشون ويتصرفون بروح كلمة «لاأستطيع».

إن الرسول بولس لا يتجاهل خطورة مشكلتك، ولا يقلل منها حين يقول أنك قادر على تحمّلها؛

إنه ببساطة يقول الحق عن الله وعنك. وإذا كنت في شك منه فعليك أن تتذكّر أنه كان حريصًا على استهلال هذا الوعد بالتأكيد على أن كلمة الله يقينية تمامًا كأمانته: «**اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ**».

أيتها الزوجات المؤمنات، تستطعن أن تجعلن بيوتكن مختلفة. أيها الشاب، تستطيع أن تتمالك نفسك عن السلوك الخاطىء حين تكون وحدك مع الفتيات. يا رجل الأعمال، تستطيع أن تتقابل مع ذلك العميل سريع الغضب غدًا. يا قعيد البيت وحبيسه، تستطيع أن تقهر إحساسك بالوِحدة وعدم الجدوى، الذي يبدو أنه يدفعك إلى اليأس. وأيا كانت المشكلة، أنت تستطيع بيسوع المسيح. إذن، اذهب وبرهن لنفسك ولكل من حولك أن وعد الله حق.

أنا في سجن

وأنا جالس إلى مكتبي، جلست سارة، الشابة المسيحية المؤمنة أمامي وقد بدا الإرهاق واضحًا عليها. كانت عيناها المحمرتان المتورمتان أقوى دليل على أن وراءهما قصة محزنة. قالت إن زواجها في حالة نكد. صار زوجها يتجاهلها ويسيء معاملة أطفاله. وقد فعل كل ما يمكن أن يجعل حياتها بائسة – ما عدا الزنى – لدرجة أنه بدا مستمتعًا بما يحدث. ولكن تبين أن ما يضايقها غير راجع لإساءة معاملة أو إهانة معينة، ولا حتى تراكم كل ذلك معًا، بل حقيقة أنها لا تستطيع أن ترى أي بصيص من الأمل في المستقبل. فكما تقول هي: «أنا في سجن».

ألعل هذا هو ما تشعر به أنت أيضًا! وأنت تقرأ قصة سارة. لعلك قلت في نفسك: «أنتِ لست الوحيدة!» لقد كبر أولادك، و قريبًا سيتزوج أصغرهم ويغادر المنزل، ولن يبقى في البيت سواك أنتِ وزوجك. سوف تقضين معه بقية أيام حياتك (أو ستقضي معها بقية أيام حياتك). كانت الحياة يمكن احتمالها حين كان الأولاد في البيت؛ فهُم الذين كانوا يضفون معنى للحياة، كانوا يجلبون بعض المرح والضحك للبيت. ولكن الآن، فجأة بات بيتك وكأنه صندوق أغلق عليكِ ونزع منه الهواء، صار وكأنه زنزانة بأقفال من حديد، وحبسًا انفراديًا! هل أُغلق عليك في سجن مدى الحياة مع هذا الزوج - أو الزوجة - الذي لا يفهمك ولا أنت تفهميه. فتقولين: «أنا في سجن».

أو ربما صار هذا البيت الجميل ماضيًا ليس له وجود الآن سوى في ذكرياتك. وزوجك المحب قد ذهب. ترجعين للبيت كل مساء فلا تجدين سوى جدران باردة خالية من الحياة فتحدقين فيها حتى يحين موعد النوم. لقد فكرت كثيرًا وقلت: «هذه الجدران ليست أفضل من صـندوق خشـبي». هل تجدين نفسك في صندوق حاليًا، هل دفنت في صندوق وأنت ما زلت على قيد الحياة؟

أو كرجل أعمال، تعلم أنك في دوامة لا تكف عن ابتلاع المزيد من وقتك. وحوائط سجنك مكونة من مسئوليات متزايدة وضغوط عليك. ضغوط، ضغوط لتنتج، ضغوط لتربح، ضغوط لتكون زوجًا أفضل، ضغـوط لتقضي مزيدًا من الوقت مع أسرتك. وأن تقوم بواحـدة معناه أن عليك

أن تتجاهل الأخرى... ضغوط، ضغوط، ضغوط - كل منها يبدو أنه يدفعك في اتجاه معاكس. وحوائط المبنى القاسية تبدو أنها تضيق عليك الخناق شيئًا فشيئًا. تقول: «أستطيع أن أقضي المزيد من الوقت مع الأسرة إذا...» ولكن مع ارتفاع تكاليف المعيشة... أين أجد المنفذ؟ أنا في صندوق مقفل ومثبت بمسامير بإحكام، وأنا حبيس لاأستطيع الخروج منه!» هل هذا هو حالك؟ أيها المؤمن أصغ لله:

لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ. وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا. (كورنثوس الأولى ١٠ : ١٣).

هل فهمت؟ يقول الله إنه لا يضعنا في صندوق ليتركنا هنـــاك إلى الأبـد. إن ســـارة كانت بحاجة

إلى أن تفهم ذلك. كانت بحاجة إلى أن تعرف أن الله يجعل مع كل تجربة طريقًا للنجاة. إن المؤمنين ليسوا أبدًا في صندوق لا خروج منه. إن الله قادر أن يُسقط جدران أي سجن كما أسقط أسوار أريحًا؛ يستطيع أن يفتح الباب ويمد يده لك ويخرجك. وربما يجعل الله قاعدة الصندوق تسقط؛ فلأن سارة كانت ترى أنها في صندوق اختارت الطريق التي تعرفها للخروج منه؛ فحاولت التملص والاستسلام، وعدم المواجهة. ولكن التخلّي عن مسئولياتها كأم وزوجة لم تساهم سوى في تعقيد المشكلة أكثر؛ وأثبتت أنها ليست أكثر من مجرد طريق مسدود، وأنها أبعد ما تكون طريقًا للنجاة. لم يكن هذا حلًا؛ لقد قادها الشعور بالذنب إلى الاكتئاب، و قاد الاكتئاب إلى المزيد من الإحساس باللامسئولية مما أدى إلى السقوط في دوامة من الشعور بالذنب، وما شابه.

يعد الله بأنه مع التجربة سيجعل أيضًا «المنفذ» أي سيجعل طريقًا للنجاة لكي تستطيع أن تحتملها. كل سجن له طريق للخروج؛ وكل مشكلة لها حل؛ وكل تجربة لها وقت تنتهي فيه لأجل أولاد الله. وهذا لا ينطبق بالتأكيد على آخرين. فمن الحقائق الرهيبة عن دينونة الله الأبدية في الجحيم هي الهوة العظيمة التي تفصل الجحيم عن يسوع المسيح إلى الأبد. لا يوجد طريق للخروج من الجحيم، ولا نهاية لعذابه وضيقه. ولهذا فالناس بدون المسيح يخشون الموت؛ فهم يدركون بطريقة أو بأخرى أن الموت هو بمثابة سجن بلا مخرج. والخوف من الموت (مع كل عواقبه) يجعل من الحياة نفسها سجنًا.

ولكن المؤمن، الذي يعرف أن يسوع المسيح قد سبق ودخل السجن من أجله ودك أساساته

وكسر جدران الموت، وأبطل ما للهوة من سطوة على الابتلاع، لم يعد هناك ما يمكن أن يخيفه لامن موت ولامن حياة.

وأيا كان الطريق الذي يجعله الله للنجاة، حتى إذا كان الأفضل بين الجميع (أي أن يأخذك معه)، فإذا كنت قد نلت الخلاص بنعمة الله بالإيمان بيسوع المسيح، فيمكنك أن تكون على يقين تام بأن المنفذ آتٍ تمامًا كما أتت المشكلة نفسها. يقول الله بأنه مع التجربة سيجعل أيضًا المنفذ، أي وسيلة للخروج.

إن فهم ما سبق، والإدراك ببساطة أن للتجربة نهاية لهو في حد ذاته من أكثر الحقائق المطمئنة. تُمكّنك المعرفة من المضي قدمًا ومواصلة طريقك. فهي تحثك وتعينك على الاستمرار في القيام

بمسئولياتك أمام الله. إنها تمنح الرجاء. تستطيع أن تحتمل أي شيء عندما تعرف أن له نهاية.

أمكتئب أنت، أواهنة عزيمتك أيها المسيحي المؤمن؟ دعني أشجعك أن تصدق كلام الله وتثق به. ومهما طالت ظلمة الليل، فالفجر آتٍ حتمًا. فبعد العتمة يأتي النور. يأتي المسيح؛ وفيه النور؛ النور الذي سيُمَكِّنُك من احتمال الظلام. قد يبدو أمامك السجن عاليًا منيعًا، غير أنه ليس كذلك- ليس منيعًا بالنسبة لله.

هل أنت في سجن؟ إذن رنّم، رنّم كما رَنّم بولس وسيلا بالرغم من جراحهما عند منتصف الليل في سجن فيلبي. وقريبًا (في توقيت الله) سوف تسمع أنت أيضًا صوت ارتجاج الأرض وتشعر بزعزعة أساسات سجنك، والأبواب، أبواب سجنك، سوف يتم الإطاحة بها تحقيقًا لوعد الله وقوته.

تذييل: الله صادق

لا ينبغي للمؤمنين أن يبرروا الخطية بأعذار مثل قولهم أنهم مجرد بشر وبالتالي غير كاملين، أو أن جميع المؤمنين المولودين ثانية يستمرون في هذه الحياة يخطئون بالقول والفكر والعمل (**رومية ٦: ١**). في الوقت عينه، يؤكد الرسول بولس أنه بنعمة الروح القدس، يمد الله أولاده بنعمة كافية للتغلّب على كل تجربة، وبالتالي مقاومة الخطية (**رؤيا ٢: ٧، ١٧، ٢٦**).

إن أمانة الله تُعلن ذاتها بطريقتين:

(أ) لن يسمح لنا أن نجرّب فوق ما نستطيع أن نحتمل،

(ب) مع كل تجربة، يُقدّم لنا منفذًا كي نستطيع أن نحتمل التجربة، ونتغلب على الخطية (**تسالونيكي الثانية ٣:٣**).

إن نعمة الله (**أفسس ٢: ٨-١٠؛ تيموثاوس الثانية ٢: ١١- ١٤**) ودم يسوع المسيح (**أفسس ٢: ١٣؛ بطرس الأولى ٢: ٢٤**) وكلمة الله (**أفسس ٦: ١٧؛ تيموثاوس الثانية ٣: ١٦-١٧**) وقوة سكنى الروح القدس (**تيطس ٣: ٥-٦؛ بطرس الأولى ١: ٥**) وشفاعة المسيح الذي في السماء تعطي المؤمن قوة كافية في حربه ضد الخطية وقوات الشر الروحية (**أفسس ٦: ١٠-١٨؛ العبرانيين ٧: ٢٥**).

اذا استسلم المؤمنون للخطية، فذلك ليس لعدم كفاية نعمة المسيح لهم، بل لأن المؤمنين يفشلون في مقاومة شهواتهم الخاطئة بقوة

الروح القدس (**رومية ٨: ١٣-١٤؛ غلاطية ٥: ١٦، ٢٤؛ يعقوب ١: ١٣-١٥**).

إن قدرة الله قد «وهبت لنا كل ما نحتاج إليه للحياة والتقوى» (**بطرس الثانية ١: ٣**). ليس من حاجة إضافية إلى الحكمة البشرية أو للتقنيات النفسية أو لأي نظريات فلسفية أخرى، لتكميل كلمة الله التي فيها كل الكفاية، والتي تُظهر خلاصنا الكامل في المسيح. وبالخلاص الذي دبّره المسيح، يستطيع كل مؤمن أن يطيع هذه الوصية: «**لِتَسْلُكُوا** (في حياتكم) **كَمَا يَحِقُّ لِلرَّبِّ، فِي كُلِّ رِضىً، مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ، مُتَقَوِّينَ بِكُلِّ قُوَّةٍ بِحَسَبِ قُدْرَةِ مَجْدِهِ، لِكُلِّ صَبْرٍ وَطُولِ أَنَاةٍ بِفَرَحٍ**» (**كولوسي ١: ١٠-١١**).

نستطـــيع أن نختمـــل كل تجربـــة ونجد مخـــرجًا إذا كنا نرغب في ذلك بإخلاص، ونتكل على قوة الله وأمانته.